تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فإن الأحساء منطقة تضرب جذورها في أعماق الماضي ، عبر سلسلة الحضارات التي تواردت عليها ، وتركت بصماتها على الأرض والإنسان ، وخاصة أن التسمية التاريخية للأحساء كانت تشمل الساحل الغربي من الخليج العربي الممتد من جنوب العراق إلى عُمان .

وقد تعاقبت على الأحساء فترات من المد والجزر في تأثيرها السياسي وحراكها الثقافي وشموخها العلمي ، فقد كانت صاحبة سبق في الدخول في دين الله ﷻ طواعية واختيارًا ، وترنمت منابرها بخطبتي الجمعة عندما لم تكن خطبة تخطب على وجه الأرض إلا في مسجد رسول الله ﷺ ، وضربت مثلاً عظيمًا في الثبات على الدين يوم ضربت الردة بأطنابها في ربوع الجزيرة العربية ، ومنها انطلقت الجيوش الإسلامية لفتح السواحل والمدن الفارسية والهندية .

وقد أجمل العلامة الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي رحمه الله (١٢٩٠ - ١٣٦٢هـ) تلك الفضائل الأحسائية في قصيدته الميمية قائلاً :

ضعُوا جهلَكم في غيرِ أحسائنا ذهي ... فقد كانت الأحساءُ تُحمى

لهم نبأٌ أنْبَا قديمًا بكونهم ... إلى حلباتِ البرِّ أهدى وأقْوَما

هُمُ وفدُوا للدينِ حُبًّا ورغبةً ... فبَجَّلهم أعني النبيَّ وكرَّما

وقال رسولُ الله بالوفدِ مرحبًا ... أتَوا لا خزايا أوْ بِهم مَن تندَّما

وجاؤوا إليه راغبينَ فردَّهم ... على كرَمٍ يتلون نوراً مُتَمَّما
وقال لهم إنِّي وطِئتُ بلادَكم ... وأثنَى عليهم مُحسِناً ومفخِّما
وأولُ دارٍ بعد طيبةَ أشرقَت ... منابرُها بالخطبتينِ ونعمَ ما
وما ثَبتَتْ دارٌ سواها وطيبةٌ ... ومكةُ إذ خطْبُ النبيِّ تعظَّما

وقال الشاعر الأديب الشيخ محمد بن عبد الله الملحم (١٣٥٥ - ١٤٠٨هـ) رحمه الله - ملخِّصًا بعض فضائلِ الأحساء -:

خُصَّ هَجْرٌ بثلاثٍ ... أَورَثَتْهُ المكرُمات
فيه صُلِّيَ ثانِي ... جُمْعةٍ في الجُمُعات
وبه أَسلَمَ قومٌ ... دون سيفٍ وقَناة
وعلى الدِّينِ أقامُوا ... كالجِبالِ الرَّاسِيات

ونظرًا لبعد الأحساء عن عاصمتي الدولة الأموية والعباسية فقد ظهرت فيها ما بين الفينة والفينة حركات متمردة على الخلافة الإسلامية وشاذة في فكرها عن منهج أهل السنة والجماعة ، كفرقة النجدات سنة ٦٧هـ ، وثورة الزنج سنة ٢٤٩ هـ ، أما أكبر تلك الحركات المتمردة فقد كانت الدولة القرمطية الباطنية التي أسقطت الشرائع ، وحللت المحرمات ، وأراقت الدماء ، وأشاعت الرعب ، وكانت بداية ظهورها في أواخر القرن الثالث الهجري ، ثم أهلكهم الله على أيدي أهل السنة والجماعة ، وأراح البلاد والعباد من شرهم .

ثم تعاقبت على الأحساء دولة تلو أخرى ، وشهدت أحداثًا ، ومرت بأطوار ، وشاركت في مقاومة الاستعمار ، ثم حطت الأحساء عصا تسيارها في رحاب الدولة السعودية أيَّدها الله بالحق وأيَّد الحق بها .

لقد أثَّرت هذه الدول والحضارات في التراكم المعرفي الذي توارثته الحياة العلمية والفكرية في المجتمع الأحسائي ، وخاصة أرباب العلم والفتوى والقضاء ،

وقد نتج عن ذلك منهجية علمية أحسائية متناغمة مع منهجية علماء أهل السنة والجماعة المتمثلة في : سعة الإدراك الثقافي لعلماء الأحساء ، وتنوع علومهم الموروثة من مدارسهم القديمة ، ووعيهم لثقافات ومعارف تمكنوا من احتوائها وغربلتها لمصالح المجتمع والناس .

ومن أبرز سمات منهجية علماء الأحساء : تعاملهم مع الخلاف الناتج عن الاجتهاد المشروع بسلامة صدر وحسن ظن ، وقد تبين لي بما لا يدع مجالاً للشك - بعد دراسة لعدد كبير من فتاوى علماء الأحساء - بأنهم يستوعبون ويتفهمون الاجتهادات الشرعية المشروعة ، ويحترمون التعددية المذهبية السنية ، ويلجأون إليها في حل المشكلات والنوازل والوقائع ؛ لأنه قد استقر عندهم أن تلك المذاهب المباركة كالجداول التي تروي ظمأ واردها ، ويتعايشون - في الوقت نفسه - مع المذاهب الأخرى بسلام .

ومن الأمثلة على تلك الفتاوى ما سئل عنه المفتي القاضي الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الحكيم الشافعي (. . . - ١٠٨٠هـ) عن مطلقة شابة انقطع عنها الحيض أثناء العدة ، وعند الشافعية أنها تصبر حتى سن اليأس ، والحال أنها فقيرة محتاجة للزوج ، فهل لها أن تقلد من ييسر عليها الأمر ، وإذا قلدت فهل يجب على الزوج والولي والعاقد التقليد ، فأجاب بجواز تقليد الإمامين مالك وأحمد ، فإن مذهبيهما أن تتربص تسعة أشهر ، ثم تعتد بثلاثة أشهر ، ولا بد لأطراف العقد من التقليد في ذلك إن كانت مذاهبهم لا تجيزه .

ومن ذلك ما سئل عنه القاضي المفتي الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد سعيد العمير الشافعي (. . . - ١٢٨١هـ) عن حكم إخراج الزكاة من غير جنس المال المزكى ، فأجاب بأنه لا يجوز أن تكون الزكاة من غير جنس المال الزكوي عند الشافعية ، ويجوز ذلك عند الحنفية ، كأن أخرج زكاته دراهم أو

ثيابًا بقيمة الزكاة ، فإذا حصل تقليد صحيح عند إخراج البدل صح وبرئت ذمة المالك .

ومن أمثلة استفتاء بعضهم بعضًا سؤال القاضي الشيخ محمد حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن حسين العدساني الشافعي (ق ١٢ - ق ١٣هـ) للشيخ علي بن حسين بن عبد الرحمن بن كثير المالكيِّ (. . . - ١٢١٦هـ) عن مذهب المالكية في ثبوت العمل بورقة تتضمن نذرًا صدر من الشيخ محمد بن عمر الملا الحنفي ، فأجابه الشيخ علي بأنه إذا قامت بينة معتبرة على أن الخط هو خط الشيخ محمد بن عمر الملا ثبت العمل به في مذهبهم .

ومن ذلك عدد من الأسئلة رفعت إلى العلامة الشيخ أبي بكر بن محمد بن عمر الملا الحنفيِّ (١١٩٨ - ١٢٧٠هـ) ليُجيبَ عنها على المذهبين المالكي والحنبلي ، فلم ير الشيخ في ذلك حرجًا أن يجيب على غير مذهبه ، بل لم يجد غضاضة من أن يوجه تلك الأسئلة إلى عالِمَين في عصره : مالكي - ولم يأت في مقدمة جوابه تحديد عينه - وحنبلي - وهو القاضي المفتي الشيخ عبد اللطيف بن أحمد بن فيروز (ق ١٢ - ق ١٣هـ) - ، ليُجيبا على مذهبيهما ، بدلاً من أن يتولى الإجابة بنفسه ، فيكون قد خاض في مذاهب الآخرين ، وهم أعلم بمذاهبهم ، وقد جاء في مقدمة الشيخ عبد اللطيف بن فيروز قوله : « هذه أسئلة فقهية ، سئل عنها وحيد دهره ، وفريد عصره ، النحرير المعظم ، والجهبذ المفخم ، الشيخ أبو بكر بن الشيخ محمد بن عمر الملا » .

كما قام الشيخ أبو بكر الملا نفسه بتوجيه سؤال ورد إليه إلى القاضي الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الوهيبي الحنبلي (. . . - ١٣٠٤هـ) عن حكم الزواج بامرأة تزوج رجل بابنتها ، وطلقها قبل الدخول بها ، فأجابه الشيخ الوهيبي وفق مذهبه الحنبلي ، وخلاصته تحريم الزواج بالأم حرمة مؤبدة ، وكان

مما قال في جوابه : « من عبد الرحمن بن عبد الله ، إلى الوالد المكرم الشيخ أبي بكر حرسه الله تعالى ، وأسبغ عليه نعمه ووالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، الكتاب الشريف وصل ، شرف الله قدرك ، ورفع ذكرك » .

أما ترجيح مذهب الغير والإحالة عليه فله عدد من الأمثلة والشواهد ، منها ما أجاب به العلامة الشيخ إبراهيم بن حسن الملا (. . . - ١٠٤٨هـ) عن سؤال بشأن رجل متزوج ، ثم تزوج بأخرى ، وبعد سنة قالت الأولى : إنها أرضعت الثانية ثلاث رضعات ، وقالت بعض النساء مثل ذلك ، فهل تحرمان عليه أو إحداهما أو لا تحرمان عليه ، فأجاب بأن الحرمة عند الحنفية لا تثبت إلا بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين ، ولا تثبت بشهادة المرضعة ولا بشهادة النساء ، ولكن الشبهة في هذه الصورة قوية وقريبة من الحرمة ، والأولى بالمسلم توقي الشبهات ، هذا ما أجاب به الشيخ إبراهيم بن حسن ، ويلاحظ في هذه الفتوى أنه لم يُفتِ بالمعتمد عند الحنفية من عدم تأثير شهادة المرضعة والنساء في التحريم ، بل أرشد إلى توقي الشبهات ؛ لأن بعض المذاهب كالشافعية يقبلون شهادة المرضعة وحدها ، وبعض المذاهب كالمالكية والشافعية والحنابلة يقبلون شهادة النساء وحدهن في الرضاع - على تفصيل عندهم - .

ومنها المسألة التي رفعت لعلماء الأحساء في القرن الثاني عشر الهجري المتعلقة بقسمة الماء الجاري المشترك بين عدة ملاك ، وحكمها عند الشافعية والحنابلة أن يسقي الأول إلى مبدأ الماء ، ثم من يليه ، بحيث يرتفع الماء إلى الجدر - وهو الحاجز الذي يوضع بين شربات النخل أو حول أصول النخل كالجدار القصير ، ويقدر ارتفاع الماء فيه إلى الكعبين تقريبًا - وفقًا لحكم النبي ﷺ للزبير بن العوام رضي الله عنه عندما نازعه جاره الأنصاري رضي الله عنه في السقي من شراج الحرة - أي مسيل الماء منها - ، أما عند المالكية فتقدر مدة السقي بالزمن المنضبط ، كساعة أو ساعتين أو ربع النهار أو نصفه أو يوم ويوم .

وقد أجاب عنها علماء المالكية كالعلامة الشيخ عيسى بن عبد الرحمن بن مطلق (. . . - ١١٩٨هـ) والشيخ عبد العزيز بن مبارك بن غنام (ق ١٢ - ق ١٣هـ) ، ولما توجهت المسألة للعلامة الشيخ عبد الله بن محمد العبد اللطيف الشافعي (. . . - ١١٨١هـ) أفتى فيها بقوله : « فلما تعذرت قسمة هذا الماء على مذهب الإمام الشافعي تعين السلوك في طريقة ذلك الإمام الألمعي - مالك - ؛ لكونه الذي ترتب عليه البلد ، وجرى عليه العمل فتبع الوالد فيه الولد ، . . . ، فتعين على القاضي الشافعي استخلاف مالكي في هذه القضية ؛ ليفوز بالفعلة المرضية » ، انتهى كلامه ، وبمضمون هذا الجواب أجاب العلامة الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز الحنبلي (١١٤٢ - ١٢١٦هـ) ، حيث قال : « يتعين على القاضي الشافعي استخلاف مالكي يقطع بين الخصمين النزاع ، وهو قول السادة الحنابلة بلا دفاع » .

أما عبارات التعظيم والتفخيم لأئمة المذاهب وعلمائها فدلائله كثيرة ، منها أن العلامة الشيخ عبد الله بن محمد العبد اللطيف الشافعي لما سئل عن مسألة المياه المتقدمة ، وأجاب فيها مؤيدًا العمل بمذهب الإمام مالك ، قال في مقدمة فتواه : « الحمد لله سبحانه ، لما استوضحنا هذا الحال وتبينا أمره ، وأنه قول واحد مذهب إمام دار الهجرة ، عالم المدينة وإمامها ، الذي ألقيت إليه مقاليد الأحكام وزمامها ، وكل فضيلة لها سناء فهو أمامها برتوة ، كيف وقد آواه الله تعالى من العلم إلى قرار مكين بربوة ، حمدنا الله تعالى على ذلك ، وجعلنا الذريعة بيننا وبينه مالك ، لنفوز براحة رضوان ونعوذ من نصب مالك » [1] .

وقد وقف علماء الأحساء مواقف صلبة ضد من يحاول النيل من علماء

---

(١) انظر الكثير من فتاوى علماء الأحساء في كتاب : فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم ، تأليف : الأستاذ عبد العزيز بن أحمد العصفور .

المذاهب الأربعة وفقهها ، فمن أمثلة ذلك القصيدة الميمية المشهورة التي جادت بها قريحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي (١٢٨٨ - ١٣٦٢هـ) ، حاثًا على اتباع المذاهب الأربعة الفقهية ، مستدلاً على جواز ذلك بالنقل والعقل ، ومبينًا أن المذاهب الفقهية نابعة من الكتاب والسنة والقياس عليهما وأقوال الصحابة رضي الله عنهم ، فكان مما قال :

وكان اتباعُ المهتدين هدايةً ... وطاعتُهم في الناس فرضًا محتَّما
يقول تعالى : " فاسألوا " أوَ لم تكن ... قضت باتباع الناس من كان أعلما
ومن قال : " واجعلنا إمامًا " ألم يُرِد ... من الله أن يُقفى سبيلاً ويُلزما
ولكن رضينا مالكًا وابنَ حنبل ... ونعمانَنا والشافعيَّ المكرَّما
أئمةُ حقٍّ كالشموسِ اشتهارُهم ... فما انطمسوا إلا على مَنْ به عمى
وهل جمعوا إلا كتابًا وسُنَّة ... وإلا قياسًا صادق الجد محكَما
وإجماعَ أصحابِ النبي كفى بهم ... لنا سببًا ما كان أن يتصرَّما
فإن قلتمُ ماتوا فسيرتُهم حَيَت ... وإن هبطوا لَحدًا فمنهاجهم سما
هم الخيرُ أحياءً وبعد مماتهم ... نرى نهجَهم للخير أهدى وألزما
وهم حوَّطوا الشرعَ الشريف بفضلهم ... فأضحى عن الجهال ممتنعَ الحِمى
وكم قاصدٍ للدين يبغي فسادَه ... رآهم ليوثًا خادرين فأحجما

ولذلك فليس من الغرابة أنه لم ينتصف القرن الحادي عشر الهجري إلا والأحساء تمثل موطنًا أصيلاً مميزًا للعلم ، وكعبة ومقصدًا لطلابه ، فأنشأت فيها المدارس العلمية ، وبنيت فيها الأربطة السكنية ، وكثر فيها المتصدرون للتعليم الشرعي ، وقصدها الراغبون فيه من الجهات المحيطة بها كالعراق والخليج وفارس ونجد ، وساهمت مساهمة فعالة في تقدم الحركة العلمية في تلك الأقطار وهاتيك الأمصار .

وممن شهدوا بهذه المكانة العلمية العالية للأحساء من العلماء الوافدين عليها

الشيخ العلامة محمد بن أحمد العمري الموصلي رحمه الله (. . . - ١٢١٢هـ) [١] ، فإنه وفد على الأحساء في العقد الأخير من القرن الثاني عشر الهجري ، واستوطن فيها ، وذكرت بعض المصادر أن إقامته في الأحساء استمرت حتى وفاته ، فلما رأى في الأحساء ما لم يره في غيرها من البلاد التي طوَّف بها ، من توافر علماء أهل السنة والجماعة على اختلاف مذاهبهم الفقهية ، مع ما يتميزون به من التسامح المذهبي ، والتنوع العلمي ، والتعايش الحضاري ، نظم قصيدته الهمزية الرائعة في مدح الأحساء وعلمائها .

وقد بلغت أبيات هذه القصيدة مائة وثمانية وستين (١٦٨) بيتًا ، وقد ذكر الناظم في قصيدته - على الترتيب - ثلاثة عشر من علماء الشافعية ، وثلاثة من علماء الحنفية ، وأربعة من علماء المالكية ، وعالمًا واحدًا من علماء الحنابلة ، وسبعة من علماء التركية ، فبلغ مجموع العلماء الذين ذكرهم ثمانية وعشرين عالمًا ، أغلبهم تولى القضاء أو الإفتاء مع المشاركة في التدريس والتصنيف ، وهم لا يمثلون إلا عددًا قليلاً من علماء الأحساء في تلك الفترة الذهبية ، ومما قال في قصيدته التي مطلعها :

قَصُرَتْ لَعَمْرُكَ هِمَّةُ الجَوزَاءِ ... عَنْ نَيْلِ شَأْوِ مَرَاتِبِ العَلياءِ
وَحَدا بِذِكْرِ اسْمِيْ ورِفْعَةِ رُتْبَتِي ... حَادِيْ الرِكَابِ بسائرِ الأَرْجاءِ
وَشَدَتْ حَمائِمُ مجديَ السامِيْ الذي ... ما حامَ حولَ حِماهُ ذو جَدْواءِ

إلى أن قال رحمه الله :

ما قلتُ ذلكَ مقْصِديْ فخرٌ ولا ... تعظيمُ غيريَ لي مِنَ الفُضلاءِ
بلْ مقْصِديْ التحديثُ بالنِّعَمِ التي ... وَهَبَ المهيمنُ لِيْ بِلا إحصَاءِ

---

(١) انظر ترجمته في : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون ، تأليف : إسماعيل باشا البغدادي (٣٤٤/٦) ، ومعجم المؤلفين ، تأليف : عمر رضا كحالة (٢٩٨/٨) .

لِمَ لا أكونُ بما جرَى قَمِناً وقد ... حَفَّتنيَ الألطافُ مِنْ مَولائي
وغدوتُ مِنْ عَيْنِ الإلهِ بمنظرٍ ... وبدتْ عليَّ علامةُ السُعداءِ
إذْ لَم أَزلْ مُتنقلاً في أرْضِهِ ... حتى عرَفتُ حقائقَ الأشياءِ
جُبتُ الفيافي والقفارَ جميعَها ... براً وبحراً كيْ أنالَ مُنائي
وشَرعْتُ في السفرِ الحَميدِ ببلدتي ... دارِ الأفاضلِ مُوصلِ الحَدباءِ
وبَقيتُ منْتَقلاً إلى أنْ جئتُ في ... بلدِ الكرامِ معادنِ الإسداءِ
أعني بها الأحساءَ أحسنَ كلِّ ما ... في الأرضِ منْ بلدٍ بغيرِ مراءِ
فأقمتُ فيها مدةً أجني جنَى ... ثمراتِ روضةِ لذتيْ وصفائي
ووجدتُ أهليها مشايخَ سادةً ... صافينَ مِنْ حسدٍ و من بغضاءِ
ورأيتُهم أهلَ اعتقادٍ صادقٍ ... و بها اجتمَعتُ بغالبِ العُلماءِ

ومن العلماء الذين قدموا الأحساء في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري ، واستوطنوا فيها لسنوات طويلة بلغت ثلاثين سنة ، وأشادوا بما تزخر به من العلم والأدب ، الشيخ عبد الله بن محمد البيتوشي الكردي الشافعي (١١٣٠-١٢١١هـ) المولود في كردستان العراق ، والمتوفى في البصرة ، وهو أحد العلماء الكبار الذين جمعوا بين الشريعة والأدب ، فإنه لما قدم في سنة ١١٧١ هـ إلى الأحساء ، وطاب له المقام فيها ، ولقي من حفاوة أهلها وكرمهم ما أبهره ، ولقي من سعة علمهم وسماحة أخلاقهم ما أدهشه ، أرسل رسالة أدبية رائعة لشيخه في بغداد الشيخ عبيد الله أفندي بن صبغة الله أفندي الحيدري ، وكان مما جاء فيها : « وحالَ التاريخ أنا في الأحساء ، أتقلب في روضٍ من العيش أريض ، وأتبختر في بُردٍ من العافية طويل عريض ، بين سادة سمحاء ، يكرمون ولا يمكرون ، ويطعمون ولا يطمعون ، ويبهرون ولا يرهبون ، ويتكرون ولا يرتكبون ، لا تمل مناجاتهم ، ولا تخشى مداجاتهم ، إلى أخلاق في رقة النسيم ، ومحاورة في عذوبة التسنيم ، لا تكبو في حلبة الفخار جيادهم ، ولا تصلد في مشاهد النوال زنادهم ، ثابت

لديهم كما أبتغي قدمي ، مجرى عندهم ما نفثت به فمي أو كتبه قلمي ،

لا عيبَ فيهم سوى أنَّ النـــزيلَ بهم يسلو عن الأهلِ والأوطانِ والحشم » (١)

ولذلك فلا عجب إذا غدت المدرسة الأحسائية في تلـــك الفتـــرة الذهبيـــة واحدة من سبع مدارس علمية رائدة على مستوى العالم الإسلامي ، فقـــد قـــال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله : « وكان يقال : لا يبلغ طالب العلـــم كماله – والكمال لله – حتى يتخرج أو يحضر دروسًا في سبع مـــدارس في ســـبعة بلدان : مدرسة الدويحس في الزبير ، ومدرسة آل أبي بكر في الأحساء ، ومدرســـة الآلوسي في بغداد ، والأزهر في مصر ، ومدرسة المرادية في دمشق ، وكان طالـــب العلم إذا استوفى يؤم الحرمين الشريفين لحضور بعض حلقات شيوخ الحـــرمين في مكة والمدينة ، ثم يعرج على عنيزة والقصيم ، وكان عصر العلم قـــد اســـتنار في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين » (٢) .

ورغم اندثار تلك الدول والحضارات السابقة إلا أن شواهدها وآثارها مـــا تزال شامخة وشاهدة ومذكرة بحضارات ودول سادت ثم بـــادت ، وصـــدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة آل عمران : ٢٦] .

وإياك أن تظن – أيها القارئ – أن الحاضر أرخى سدوله علـــى الماضـــي ، فانفرط العقد وزال المجد ، واندرست المدارس وانفضت المجالس ، بل إن الحركـــة العلمية الأحسائية – بحمد الله – ما زالت تعطى وتمنح وتكسب وتربح ، وما زال

---

(١) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد ، تأليف : الشيخ محمد بن عبد الله العبد القـــادر ص (٣٧٩) .

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون ، تأليف : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (١/ ٣٩٠) .

الطلبة يفدون ، وعلى عيون الشريعة ينزلون ، ومن موارد العلم يصدرون ، وصدق القاضي الشيخ عبد الله بن علي العبد القادر رحمه الله (١٢٧٠ - ١٣٤٤هـ) عندما قال :

والخيرُ ما زال خيرًا في معادنه ... توارثته عن الأخيارِ أخيارُ

وجامع الجبري - الذي صنَّف أخي الفاضل الأستاذ الباحث أحمد بن عبد اللطيف الجعفري - حفظه الله - هذا السِّفر النفيس من أجله - يمثل قامة شامخة شاهدة على دولة آل إليها الحكم في الأحساء في العقد الثالث من القرن التاسع الهجري ، إنها دولة الجبريين المنتسبين إلى عقيل من بني عامر بن صعصعة ، وقد قامت الدولة على يد الأمير سيف بن زامل بن جبر ، ولما مات سيف خلفه أخوه أجود بن زامل ، وكان متصفًا بالعدل والكرم والشجاعة ، واتسعت دولتهم فوصلت إلى نجد غربًا وإلى عمان جنوبًا ، ولكن الخلاف والضعف دب فيهم بعد ذلك ، واستولى البرتغاليون على بلادهم ، وانتهت دولتهم في سنة ٩٣١هـ [1] .

وإلى دولة الجبريين يرجع الفضل في تأسيس الحركة العلمية المعاصرة في الأحساء ، فقد كان سلاطينها أهل ديانة وعلم ، فقد كان للأمير أجود بن زامل

---

(١) كان دخول البرتغاليين منطقة الخليج العربي سنة ٩١٢هـ ، وهي نفس السنة التي توفي فيها الأمير أجود بن زامل الجبري أبرز سلاطين الدولة الجبرية ، وكان البرتغاليون يهدفون إلى إنشاء إمبراطورية برتغالية مسيحية كبيرة في الشرق ، فكان لا بد لهم من السيطرة على الطرق البحرية الرئيسية للتجارة العالمية ، فسيطروا على البحار الجنوبية للجزيرة العربية وبحار الساحل الغربي للهند ، ثم اتجهوا للسيطرة على الطرق البحرية الفرعية ؛ لكي تصبح جميع منافذ التجارة في أيديهم ، فاتجهت أنظارهم إلى الخليج العربي الذي يمثل شريان التجارة إلى نهر الفرات وسواحل الشام . انظر : تاريخ هجر ، تأليف : الشيخ الأديب عبد الرحمن بن عثمان الملا (٢/١٩٠ - ١٩٢) و (٢/٢٠٢ - ٢١٢) ، وتاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف ، تأليف : علي بن إبراهيم الدرورة ص (١٠٥ - ١٠٨) و ص (١٨٢ - ١٨٤) .

ثاني سلاطين الدولة الجبرية (٨٢١ - ٩١٠هـ) [١] إلمام بالفقه المالكي ، واعتناء بتحصيل كتبه ، وجعل قضاته من المالكية .

ومن أمرائهم الأمير صالح بن سيف بن حسين (. . . - ٩٣١هـ) ، وكان له اعتناء بتحصيل العلوم الشرعية ، فقد قدم هذا الأمير مدينة دمشق سنة ٩٢٧ هـ ، وأخذ عن علمائها ، وأجازه منهم العلامة محمد رضي الدين الغزي وولده محمد بدر الدين ، وكلاهما شافعي المذهب ، وكان في قدمته متسترًا مختفيًا غير منتسب إلى سلطنة ، وسمى نفسه إذ ذاك عبد الرحيم ، وكان مالكيًا متبحرًا في الفقه والحديث ، وله مشاركة جيدة في الأصول والنحو ، وكان محبًا للعلماء والصلحاء ، شجاعًا مقدامًا ، عادلاً في ملكه ، صالحًا كاسمه ، وتوفي ببلاده [٢] .

وقد كانت دولة الجبريين بشكل عام محبة للعلم والعلماء ، وكانوا يحرصون على استقطاب علماء المسلمين من سائر المذاهب الأربعة الفقهية لنشر العلم الشرعي في الأحساء ، فمن العلماء الذين احتضنتهم دولة الجبريين في الأحساء معلمين أو مفتين أو قضاة :

١- الشيخ عبد الله بن فارس بن أحمد الجمال البرنوسي التازي المالكي (. . . - ٨٩٤هـ) ، فقد توجه مع الأمير أجود بن زامل ، فاستقر في نواحيهم قاضيًا ، وأقام عندهم نحوًا من ١٥ سنة ، وفي سنة ٨٩٣هـ قدم مع الأمير أجود للحج ، ثم تخلف عنه ، فأدركته منيته بمكة بعد انفصال الحج بيسير [٣] .

---

(١) انظر ترجمة الأمير أجود بن زامل في : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، تأليف : الإمام الحافظ = = شمس الدين السخاوي (١٩٠/١) ، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تأليف : السيد علي بن عبد الله السمهودي الحسني (٢٢٨/٢) .

(٢) الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تأليف : الإمام محمد نجم الدين الغزي (٢١٥/١) .

(٣) الضوء اللامع للسخاوي (٤٠/٥ - ٤١) .

٢- الشيخ أحمد بن عبد الرحمن الإيجي الحسيني الشافعي (٨٢٤ - ٨٩٥هـ) ، أقام عند بني جبر ، وقدم الحج معهم سنة ٨٩٣هـ [١] .

٣- الشيخ خليفة بن عبد الرحمن البجائي المالكي ، سافر مع بني جبر بطلبهم ؛ ليقوم بوظائف التدريس والقضاء ونشر العلم [٢] .

٤- الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن عمر البناء الشافعي ، دخل بلاد بني جبر فولي بها القضاء ، ثم عاد إلى المدينة قبل سنة ٨٩٨هـ [٣] .

٥- ومنهم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل ، البصري أصلاً ، المكي مولدًا ، الأحسائي إقامة ، الشافعي مذهبًا ، المولود سنة ٨٧٤هـ في مكة المكرمة ، وقد قدم الأحساء قبل سنة ٩٠٠هـ ، وأقام عند بني جبر ، وترقى عند سلاطينها ، حتى ولي القضاء بها [٤] .

وفي منتصف القرن التاسع الهجري ، أيام حكم الأمير أجود بن زامل الجبري ، وبطلب منه وتنسيق مع صديقه الحميم في المدينة المنورة العلامة الفقيه السيد علي بن عبد الله السمهودي الحسني الشافعي (٨٤٤ - ٩١١هـ) ، قدمت الأحساء من المدينة المنورة أسرتان شافعيتان ، وهما : أسرة الشيخ نصر الله بن عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الطيار الجعفري من ذرية جعفر بن أبي طالب

---

(١) الضوء اللامع للسخاوي (١/٣٣٣ - ٣٣٤) .

(٢) المصدر السابق (٣/١٨٦) .

(٣) التحفة اللطيفة في أخبار المدينة الشريفة للسخاوي (٢/٥٤٦ - ٥٤٨) .

(٤) القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي ، تأليف : الشيخ زين الدين عمر الشماع (٢/٢٣٢) ، نقلاً من مظاهر ازدهار الحركة العلمية في الأحساء ، تأليف : الأستاذ عبد الله بن عيسى الذرمان ص (١٦ - ١٧) .

رضي الله عنه ، واستقرت في حي الكوت من مدينة الهفوف ، أما الأسرة الأخرى فهي أسرة الشيخ عبد القادر بن محمد العبد القادر من ذرية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، واستقرت في مدينة المبرز ، وكان الغرض من استقدامهما للأحساء نشر العلم الشرعي عمومًا ، والمذهب الشافعي خصوصًا ، وهي لفتة مهمة في تاريخ التسامح المذهبي الذي شهدته وما زالت تشهده الأحساء إلى الآن بحمد الله عز وجل .

ولما قدمت تلك الأسرتان الكريمتان من المدينة المنورة إلى الأحساء ، واستقر بهما المقام فيها ، بنى الأمير سيف بن حسين الجبري جامع الجبري سنة ٨٨٠هـ في حي الكوت في مدينة الهفوف ، وأوقف إمامته ونظارته على أسرة الجعفري الطيار ، وما زال في أيديهم إلى الآن .

وفي اعتقادي أن جامع الجبري لا يمثل فقط جامعًا للصلاة والخطب ، ولكنه يمثل مدرسة علمية راقية ، شأنه شأن باقي المدارس الشرعية الأحسائية التي خرَّجت العلماء والقضاة والمفتين ، وورد عليها طلبة العلم من الأحساء وخارجها ، ثم صدروا عنها أئمة يقتدى بسيرهم وعلماء يهتدى بهديهم .

وقبل أن أختم أقول : إن الوجه العلمي للأحساء شمس ساطعة في يوم صائف ، لا يحول دونها سحاب ، إلا أن وجهها السافر لم يمط عنه اللثام بعد ، وما زال العطاء العلمي في الأحساء بحاجة ماسة إلى دراسات جادة ، تسبر أغواره ، وتنفض غباره ، وتستخرج كنوزه ، وتعلي رموزه ، وتكشف بهاءه ، وتوضح سناءه ، وأي جهد في هذا السبيل إنما هو وفاء لمدينة ولدنا على أرضها ، وشربنا ماءها ، وتنفسنا هواءها ، وتأدبنا بآداب علمائها .

ولذلك فإنه لما طلب مني ابن الأحساء البار الأستاذ أحمد الجعفري رغبته في التقديم بين يدي هذا الكتاب عددت هذا كرمًا منه وفضلاً أن يشرفني برد بعض الجميل للرمز (الأحساء) الذي يندرج ضمنه علماء ومدارس ومؤلفات ومنهج

وحركة علمية تشرفت - بحمد الله - بأن أكون حلقة في سلسلتها الذهبية .

وقد قرأت الكتاب كاملاً ، وأعجبني وفرة المعلومات المذكورة فيه ، وحسن عرضها وتنسيقها ، واستفدت منه كثيرًا ، وأعتقد أنه سيكون مرجعًا لكل من سيكتب عن تاريخ الحركة العلمية الأحسائية عمومًا ، وتاريخ حي الكوت وجامع الجبري خصوصًا .

وأجد من المهم أن أنادي بصوت عال أبناء تلك الأسر العلمية وخريجي تلك المدارس الشرعية وأبناء الأحساء كافة أن يشمروا عن سواعد الجد ، وأن يوجهوا اهتمامهم إلى التراث العلمي الأحسائي ، فيحققون ويترجمون ، ويجمعون ويبحثون ، ويحللون ويستنتجون ، تبصيرًا للأحفاد بما كان عليه الأجداد .

وأختم بأن أشد على يدي أخي الأستاذ الباحث أحمد الجعفري بأن يواصل عطاءه ، ويتابع بناءه ، فإن طريق البحث والتحقيق طويل وشاق ، ولكني أتذكر في هذا المقام قول المتنبي :

على قدرِ أهلِ العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قَدرِ الكرامِ المكارمُ
وتعظُم في عَيْن الصغير صِغارُها وتصغُر في عينِ العظيمِ العظائمُ

وصلى الله وسلم على رسوله الأمين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

الشيخ / د . عبد الإله بن حسين العرفج

١٤٣٠/١٢/١هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد

فهذه دراسة مقتضبة حاولت أن أسلط الضوء فيها على جامع الجبري وتاريخ بنائه في الأحساء ، وما طرأ عليه من تطورات معمارية ، وما شهده من نشاطات علمية عبر تاريخه الطويل.

وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يؤرخ لأقدم جامع بني في حي الكوت ، بل يعتبر أقدم جامع في الأحساء لا زالت تقام فيه الصلاة ، ولا زال على بنائه القديم .

ومن الواجب علينا أن نحافظ على تاريخ هذه المدينة ، والتدوين هو أحد وسائل تلك المحافظة ، بل هو أهمها على الإطلاق ؛ وذلك حتى لا يضيع كما ضاع تاريخ كثير من المرافق التراثية للأسف الشديد .

وقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع نظرًا لأهميته ، بالإضافة إلى كون جامع الجبري موقوفًا على أسرتنا : السادة الأشراف (الجعفري الطيار) مما جعلني أشعر بالمسؤولية تجاه تاريخ هذا الجامع المبارك . وقد اتبعت المنهج الوصفي والتاريخي في بحثي هذا .

ورغم وجود الكثير من الدراسات التي تناولت تاريخ الأحساء بشكل عام مثل كتاب (تاريخ هجر) وغيره إلا أن هذه الدراسة تعد أول دراسة أفردت لتاريخ هذا الجامع العظيم ، فقد احتوت على الكثير من التفاصيل التي لم يرد ذكرها في أي مصدر آخر .

خطة البحث :

المقدمة .

التمهيد : مكانة المسجد في الإسلام ونبذة من تاريخ عمارته .

المبحث الأول : نبذة عن الأحساء .

المبحث الثاني: حي الكوت .

المبحث الثالث: نسب السيد الشريف الشيخ نصر الله بن عبد الله الجعفري الطيار ، وسبب قدومه ، والتاريخ الذي قدم فيه.

المبحث الرابع : تاريخ بناء جامع الجبري وإعادة ترميمه .

المبحث الخامس : وصف جامع الجبري .

المبحث السادس : أهمية الجامع الجبري ونشاطاته العلمية .

المبحث السابع : أئمة جامع الجبري .

المبحث الثامن : نظار جامع الجبري .

المبحث التاسع : أوقاف جامع الجبري .

الخاتمة .

الملاحق :

١- الوثائق .

٢- الخرائط .

٣- صور أخرى لجامع الجبري .

٤- صور لبعض المباني القديمة في الكوت .

وفي الختام لا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر والثناء والعرفان لكل من مـــد لي

يد العون والمساعدة في هذا البحث وعلى رأسهم :

١- السيد الشريف العم حمد بن عبد الله بن محمد الجعفري الطيار .

٢- السيد الشريف الدكتور الشيخ عصام بن عبد العزيز بن محمد الخطيب الجعفري الطيار رئيس قسم اللغة العربية بكلية المعلمين بالأحساء إمام وخطيب جامع الجبري العريق حاليًا .

٣- الشيخ محمد بن عبد الله الشعيبي مدير عام الشؤون الإدارية والمالية ببلدية الأحساء .

٤- الأخ العزيز الباحث عبد الرحيم بن محمد سعيد برمو السوري .

٥- الأخ العزيز الغالي إبراهيم بن أحمد وهبة المصري (خطاط الجعفري) .

وكل من استعنت به في معلومات هذا الكتاب ممن ذكرتهم في مراجعة هذا البحث فالله يتولى عني مكافأتهم ويجزيهم عني خير الجزاء .

راجيًا أن يحظى هذا العمل المتواضع برضى القارئ ، معتذرًا عما فاتني معرفته أو أخطأت فيه ؛ لأن فوق كل ذي علم عليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

السيد الشريف : أحمد بن عبد اللطيف الجعفري الطيار الزينبي

الأحساء – الهفوف – المزروع

١٤ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ

ص.ب (٦٩٥) الرمز البريدي (٣١٩٨٢)

جوال (٠٥٠٣٩١٤١٤٠)

❖ ❖ ❖ ❖

التمهيد

دلت الكثير من النصوص الشرعية على عظم منزلة المسجد في الإسلام ، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النور : ٣٦] .

وقال الرسول ﷺ : « **من بنى مسجدًا بنى الله له مثله في الجنة** » (١) .

فبناء المساجد وتعميرها أحد الأساسيات التي حث عليها الإسلام ، لذا كان أول شيء فعله الرسول ﷺ عند قدومه إلى المدينة المنورة هو بناء مسجد قباء ، وبعدما استقر به المقام في المدينة المنورة شرع في بناء مسجده الشريف (٢) في المكان التي بركت فيه ناقته (القصواء) حيث أمرها الله تعالى فقال النبي ﷺ :

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد (٥٣) باب فضل بناء المساجد (١) رقم الحديث (٥٣٣) .

(٢) **فائدة** : لم يكن لمسجد رسول الله ﷺ مئذنة ولا قبة ولا محراب ، ولكن مع مرور الزمن رأى المسلمون ضرورة وجود هذه الأمور في كل مسجد لدواعٍ عديدة ، فالمئذنة مثلاً الحكمة منها بلوغ صوت المؤذن أكبر ارتفاع ممكن حتى يتسنى له أكبر قدر من الانتشار ، والقبة الحكمة منها توزيع صوت الخطيب داخل حرم المسجد ، لا سيما وأنه في الزمن السابق لم تكن توجد مكبرات صوت ، فكانت القبة تقوم بدور مشابه وهو توزيع الصوت في كل أنحاء المسجد ، أما المحراب فالحكمة منه عدم حجز الإمام لصف كامل وحده في الصلاة ، ولذلك حفروا له في جدار القبلة مكانًا مجوفًا يتسع لمصلٍ واحد ، واستغل بقية المصلين للصف الذي كان يحجزه الإمام وحده ، وفي هذا توسعة على المصلين في المسجد . (إفادة من الباحث : عبد الرحيم محمد سعيد برمو) .

« **هذا المنـــزل إن شاء الله** » وكانت مساحته عند إنشائه (٧٠ × ٦٠ ذراعًـــا) وجدرانه من اللّبِن ، وسُقّف جزء منه بسعف النخل وترك الجزء الآخر مكشوفًا ، وجعلت أعمدته من جذوع النخل ، وكان خاليًا من المحراب المجوف والمئذنة [١] ثم تطورت عمارته شيئًا فشيئًا على حسب العصور ، وفي عهد عثمـــان بـــن عفـــان رضي الله عنه زاد في مساحته زيادة كبيرة ، وبنى جدرانه بالحجارة المنقوشـــة والجـــص والجير ، وكان أول من أنشأ فيه المحراب المجوف الخليفة عمر بـــن عبـــد العزيـــز الأموي ، وهو كذلك أول من أنشأ المحراب المجوف في العالم الإسلامي [٢] ، وسار على هذا المنهاج في بناء المساجد (كما كان بناء مسجد الـــنبي ﷺ في عهـــده) صحابةُ أهل الأحساء من قبيلة عبد القيس عندما اعتنقوا الإسلام طواعية في عهـــد الرسول ﷺ ، حيث يعد مسجدهم بقرية جواثا [٣] بالأحساء ثالث مـــسجد بـــني على وجه الأرض بالإسلام ، ومنبره ثاني منبر أقيمت فوقه خطبة الجمعة من بعـــد مسجد الرسول ﷺ [٤] .

---

(١) الخطب (١٠٧/٣ ، ١٠٨) ، وفاء الوفاء (٣٣٩/١ - ٣٤١) .

(٢) وفاء الوفاء (٣٧/١) ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٦/١) .

(٣) هي قرية في شمال الأحساء ، شرق شمال قرية الكلابية تبعد عنها (٤,٢٠٠كم) ، غطتها الرمـــال ولم يبقَ منها إلا بعض رسوم المسجد المذكور في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وبعـــض آثـــار مـــن الأواني الفخارية ، وتبعد عن مدينة الهفوف من جهة الشمال (٢٠كم) . (إفادة عن الشيخ ظافر بن سلمان الجربوع من أهل الكلابية) .

(٤) تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم الجديد ، مجلة العربي - العدد (٩١) ص (٧٣) .

مسجد جواثا قبل الترميم

صورة لمسجد جواثا بعد الترميم القديم

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « **إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس في جواثا في البحرين** » (١) .

وقد نهج الصحابة رضي الله عنهم في عهد عمر بن الخطاب العدوي القرشي هذا المنهج فاتبع أبو موسى الأشعري هذا المنهج في بناء مسجد البصرة سنة ١٤هـ ، واتبعه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في بناء مسجد الكوفة سنة ١٧هـ ، كما اتبع عمرو بن العاص السهمي القرشي رضي الله عنه هذا المنهج في بناء مسجد مدينة الفسطاط سنة ٢١هـ ، وقد عرف هذا المسجد باسمه فيما بعد ، ويعد أول مسجد بني في مصر (٢) وكانت مساحته وقت إنشائه (٣٠×٥٠ ذراعًا) وجدرانه من اللبن ، وأعمدته من جذوع النخل ، وتسوده البساطة ، وكانت مساجد البصرة والكوفة ومصر خالية من المحاريب المجوفة والمآذن على غرار مسجد الرسول ﷺ فلما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وزاد عدد المسلمين تعددت المساجد في البلد الواحد ، كما تعددت الألفاظ التي تطلق على أماكن العبادة فأصبح هناك مسجد وجامع ، والجامع هو نعت للمسجد بأنه مكان اجتماع الناس ويطلق على المسجد الكبير (٣) .

وفي ذلك يقول المقريزي (٤) : « ولما فتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدًا للجماعة ويتخذ للقبائل مسجدًا ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة . وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة (١١) ، باب الجمعة في القرى والمدن (١١) ، رقم الحديث (٨٩٢) .

(٢) وقيل : إن أول مسجد في مصر هو مسجد سادات قريش في مدينة بلبيس في محافظة الشرقية .

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٠٧/٣) ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٦/١) .

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١٠٧/٣) .

مصر بمثل ذلك أيضًا ، وكتب إلى أمراء الشام أن لا يتبددوا إلى القرى وأن ينزلوا المدائن ، وأن يتخذوا بكل مدينة مسجدًا واحدًا ولا تتخذ القبائل مساجد فكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده » .

وكلما تقدم الزمن ازدادت هذه المساجد اتساعًا وتطورًا في البناء واستمرت كذلك الدول الإسلامية في كل بلد إسلامي وازداد حرصهم واهتمامهم ببناء ، المساجد فلما جاءت الدولة الأموية في عهد معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي ولي عقبة بن نافع الفهري القرشي مدينة تونس ، فأسس فيها مدينة القيروان ، وبنى فيها جامعًا سنة (٥٠هـ) عرف هذا المسجد فيما بعد باسمه [١] .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك بنى جامع دمشق المشهور سنة (٨٧هـ) وقد عرف هذا المسجد فيما بعد باسم المسجد الأموي ، وقد انتهي من بنائه بعد عشر سنوات فاكتمل في عهد سليمان بن عبد الملك ، وقد تميز بكبر مساحته وجماله ، واحتوى على ثلاث منارات ، وكانت به قبب وأعمدة من رخام وزخارف نباتية [٢] .

ولما جاءت دولة العباسيين أسس أبو جعفر المنصور الهاشمي القرشي مدينة بغداد سنة (١٤٥هـ) وبنى فيها جامعًا [٣] ثم تطورت أساليب العمارة في بناء المساجد واتخذت جميعها مقومات العمارة الإسلامية ، فقد كانت معظم المساجد حتى القرن الرابع الهجري تحتوي على صحن مكشوف تحيط به الأيوانات من ثلاث جهات أو من جهتين على أن يكون أكبر الأيوانات هو إيوان القبلة ، كما احتوى كل مسجد على محراب أو أكثر ومنبر ومئذنة أو أكثر ، وفي كثير من

---

(١) الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصا (٦٩/١ ، ٧٠) .

(٢) البداية والنهاية (١٧٦/٩) ، معجم البلدان (٤٦٧/٢) .

(٣) معجم البلدان (٤٥٧/١) .

الأحيان على ميضأة [١] . وفي وقتنا بدأت تأخذ المساجد طوابع جديـــدة ، فيهـــا بعض الاختلاف عن السابق بحسب كل بلد .

(١) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (١٨/١) .